الى روح أبي

الظل المنحسر

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

ذهب الظلُّ الذي كان هنا ... نعمةً من رحمة الله بنا
ذهبَ الظلُّ وعمري لم يزلْ ... ظامئاً يشكو الصدى والوهنا
طاوياً في كل يوم رحلةً ... تنشرُ الغيبَ وتطوي الزمنا
الوداع المرُّ أسقاهُ بها ... وأنا أفتاتُ منها الحزنَا
كم عزيزٍ في ثنايا مضى ... كان دمعي غسلَه والكفنا
الصحارى الصفرُ حولي قصةٌ ... أنا أدري منتهاها الحزنا
مدَّ راويها مداها ، ولقد ... أرهقَ النفسَ وأوهى الأذُنا
ملَّها السُّمار حتى انتبهوا ... ونداء الفجر فيهم أعلنا...
ما مسيري في طريقٍ عبرتْ ... تربةٌ قبلي دهورٌ ودُنى !
فَنيتْ من قبل أنْ تدركه ... وخبا في ليلها كلُّ سنا
أنظرُ الأشباح فيه ذرَّةٌ ... من هباء في فضاء شُحنا
لستُ أجني من ثراه ثمراً ... غير كدٍّ وشجونٍ وضنى
رحلتي طالت ، وطالت غربتي ... فتى يا روحُ ألقى الوطنا ؟ !

◎

كان لي ظلٌّ اذا اشتدَّ اللظى ... أوت الروحُ اليه تحتمي ...
كان لي ظلٌّ اذا امتدَّ الدجى ... وجد القلبُ لديه المأمنا
كان لي ظلٌّ إذا عاصفةٌ ... زعزعتْ أسمعي لحن المُنى
كان لي ظلٌّ إذا اليأس طغى ... ردَّني بعد ضلالي مؤمنا

ذهب الظلُّ فلا مأوى هنا ... لغريب ليس يدري السكنا
الهجيرُ المستبدُّ استعرت ... نارُه تشوي وهبّتْ ألسُنا
وأنا تلفحُني النارُ ولا ... أجدُ الظلَّ الذي كان هنا
حائرُ الطرفِ أُداري حيرتي ... بالسكون الجهم حتى تسكنا
وأرى موكبَ ليلي زاحفاً ... أسودَ الجبهة يطوي الحزنا
قاسياً يقصف في خطوته ... كلَّ عودٍ كان مأمولَ الجنى
موحشاً تزحف في ظلمته ... أرجلُ الوهم غلاظاً خُشُنا
عابساً أرشك من سحنته ... أن أراه ناقماً مضطجعا
غارت الأنجمُ إلاّ خادعاً ... حيَّر العقلَ وأعشى الأعينا

◎

عبدَ الناسُ حياةً ضلّةً ... وأنا أجحد هذا الوثنا
حيرةٌ طالت على أصحابها ... كلُّ من فيها ينادي من أنا؟
ذهبَ الآملُ فيها يائساً ... وذوى المأمولُ فيها والمنى
يهدم اليومُ، وفي سخرية، ... ما أقام الأمسُ فيها وبنى

◎

ذهبَ الظل، ولمّا أستريحْ ... من عناء السير إلاّ موهنا
ذهب الظلُّ الى بارئه ... نقضتْ أُسي وودّعتُ لُدُنى
جنّتي كانت ولكن ذهبتْ ... من أمامي مثلما يجبو السنا
لم تكن إلاّ جفوناً أُغمضت ... وروًى قرّت، وروحاً سكنا
ثروةً كانت ... وما أغبني ... في تراب الأرض واريتُ الغنى!
لم يعدْ أثمنَ ضنني من ترى ... دُفنت فيه أحبّائي هنا